عرض وتقييم كتاب: مجموعات مخطوطة من مكتبات استانبول

عرض وتقييم:
ماجده حامد عزو
جامعة الفاتح ـ قسم المكتبات والمعلومات

طه محسن. مجموعات مخطوطة في مكتبات استانبول. ـ ط ١ ـ الكويت: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1985. ـ سلسلة منشورات معهد المخطوطات العربية.

ضمن سلسلة فهارس المكتبات التي لم تفهرس مخطوطاتها والتي يقوم على نشرها معهد المخطوطات العربية التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تمّ نشر هذا الكتاب وهو: **مجموعات مخطوطة في مكتبات استانبول**.

ولم يكن هذا الفهرس أول ما نُشر عن هذا المعهد ضمن هذه السلسلة، بل سبقه بالصدور فهرس للمخطوطات الموجوده بمدينة سلا المغربية تحت عنوان «فهرس الخزانة العلمية الصبحية بمدينة سلا المغربية».

ولا يخفى عنا كمسلمين عرب ما وصلت إليه الخلافة الإسلامية في تركيا يوماً ما من رقي وتقدم، وكلنا يعي ويعرف ما خلف ذلك فيها من آثار عربية وإسلامية سواء كانت آثاراً ممثلة في المعالم والصرح الأثرية الإسلامية بنقوشها وتصميماتها العربية الإسلامية المميزة وكذلك آثارها الفكرية والتي تمثلت في المخطوطات المكتوبة باللغات العربية والتركية... وما أكثرها!

ففي المكتبات التركية الآن مجموعات كبيرة جدًا من المخطوطات المكتوبة باللغة العربية في عدة موضوعات، يحتاج إليها الباحثون في إعداد بحوثهم حول التاريخ الاسلامي وبعض الموضوعات الأخرى التي تحويها هذه المخطوطات.

وبرغم كثرة هذه المخطوطات والحاجة الماسة إليها فإنها توجد بصورة متفرقة على مكتبات تركيا، ولا يمكن الاحاطة علماً بها أ بأماكن وجودها على التحديد إلا بعد البحث في كافة المكتبات التركية وذلك نظراً لعدم وجود كشافات أو فهارس عن أماكن وجودها وإن كانت لها بعض الفهارس فإنها خاصة بكل مكتبة على حدة مما يتطلب من الباحث زيارة لكل المكتبات والاطلاع على فهارسها، طبعاً بعد زيارة تركيا.

وضمن جهود المنظمة العربية لخدمة الثقافة والعلوم في الوطن العربي وعن طريق معهد المخطوطات العربية التابع للمنظمة برزت جهودها في إعداد سلسلة خاصة بإصدار فهارس متوالية للمخطوطات العربية التي لم تفهرس في كافة أنحاء العالم، على أيدي عدد كبير من البحاث، وللدكتور طه عدة مشاريع في هذا الموضوع، وكما تشير الملاحظات التي جاءت بمقدمة الفهرس وفي الهوامش أنه بدأ بإعداد فهرس لمجموعة المخطوطات العربية بمدينة مرعش والمنتظمة بمكتبة الأستاذ محرم حلبي المرعشي وغيرها من المكتبات، وقد نشر جزءاً مما أعده من هذا الفهرس في مجلة المورد التي تصدر ببغداد، العدد الرابع من المجلد الرابع السنة 1975 م.

وخلال قيام الدكتور طه بالبحث عن مجموعات من الكتب المصنفة في موضوع الأدوات والحروف باللغة العربية قام بالبحث في فهارس المخطوطات العربية في المكتبات التركية، وهي عبارة

عن فهارس قديمة لهذه المخطوطات اقتصرت المعلومات البيليوغرافية فيها على عناوين المخطوطات واسماء مؤلفيها، فقام الباحث بجمع ملاحظات عن هذه المخطوطات التي تهمه وتفيده في بحثه ومكان وجودها لمراجعتها والاطلاع عليها في أماكنها، وكان أغلبها في استانبول فسافر إليها وبدأت رحلة بحثه فيها وعنها مسترشداً بالمعلومات القليلة والمقتضبة عنها والتي لم تشر إلا إلى العنوان والمؤلف وهما غالباً لا يدلان على المحتوى الحقيقي للمخطوط مما يتطلب البحث العشوائي في كل المخطوطات لاختيار المناسب منها للبحث أو المطلوب في موضوع «الأدوات والحروف» الذي يبحث عنه الدكتور طه، فلم يكن وصف فهارس المخطوطات العربية في المكتبات التركية دقيقاً وكان غالباً مخالفاً لما يشتمل عليه المجموع الواحد وخصوصاً في عدد الرسائل التي أخلت الفهارس بذكر أكثرها.

ولأجل كل ما سبق قام الباحث بتدوين وتسجيل وصف تفصيلي للمجموعات التي وقعت عليها يده في هذه المكتبات والتي رأى أن المعلومات التي جاءت عنها ناقصة سواء بالفهارس المطبوعة أو الدفاتر المتيسرة بالمكتبات التي زارها.

هذا الفهرس..

هو عبارة عن تجميع لعدد من المخطوطات الموجودة بمكتبات استانبول بتركيا، ففي 186 صفحة جمع الدكتور طه محسن بيانات ببليوغرافية عن مجموعات مخطوطة عربية موجودة بالمكتبات التركية بمدينة استانبول، وهي تتحدث عن موضوع «الأدوات والحروف العربية»، وأشار إلى مكان وجود هذه المخطوطات الدقيق بإيراد عناوين المكتبات التي توجد بها المخطوطات.

تمّ تقسيم هذا الفهرس إلى جزءين رئيسيين هما:

1 ـ المجاميع

2 ـ الفهارس العامة.

أولاً: المجاميع..

وهو الجزء الذي يمثل متن الكتاب وأساسه، حيث جمع كافة بيانات الوصف البيليوغرافي للمخطوطات الموجودة بمكتبات استانبول والتي جمعها الباحث خلال بحثه بهذه المكتبات، ففي 130 صفحة رتب الباحث 29 مجموعاً(*) تمثل مجموعات المخطوطات، وكل مجموعة عبارة عن مجلد أو تجميع لعدد من المخطوطات أو المصنفات.

أفرد الباحث لكل مجموع رقماً معيناً، يكتب بمنتصف الصفحة، يليه وصف للمجموع من حيث قياسه، وفيما إذا كان مجلداً أو غير ذلك.

مثل [٩]

مجموع (قياس 15 × 20 سم) مجلد. خطه واضح جميل موحد، ثم يشير إلى الخط المكتوب به المخطوط من حيث جمال الخط أو نوعيته وغيرها.

مثل [21]

مجموع (مسطرته 18 سطراً) كتب بخط مغربي.

ثم يلي ذلك ترتيب بالعناوين للمخطوطات التي يشتمل عليها المجموع، وترقم هذه العناوين بأرقام متسلسلة داخل المجموع مثلاً: مجموع رقم [21] يحوي مخطوطتين هما:

1 ـ زهر الأكم في الأمثال والحكم.

2 ـ قصيدة مشتملة على بيان الدال المهملة والمعجمة متفقي المبنى مختلفي المعنى.

ثم تحت العنوان يورد اسم مؤلف المخطوط أو كاتبه وذلك بعد عبارة (المؤلف:) ثم تاريخ وفاته، وفي حالة عدم ورود اسم المؤلف للمخطوط بالمجموع فإن الباحث يشير إلى ذلك مثل(*):

7 ـ الترغيب في صلاة الجماعة:

المؤلف: لم يرد اسمه في المخطوط

الورقة: 99 - 104.

واستكمالاً لبيانات التأليف يشير الباحث فيما إذا كان هناك ناسخ للمخطوط. ونظراً لأن هذه المخطوطات لم تُنشر فإن الباحث ترك حقل بيانات النشر وأورد معلومات حقل التوريق الخاصة بكل مخطوط فيورد عدد الصفحات أو الأوراق مسبوقة بكلمة الورقة أو الصفحات مثل:

22 ـ الكافية في النحو

المؤلف: أبو عمرو عثمان بن عمر بن الحاجب، (ت 446 هـ)

تاريخ النسخ: 10 صفر سنة 868 هـ.

الصفحات: 210 - 217.

(*) المجموع عبارة عن تجميع لمجموعة من المخطوطات في مجلد واحد.

(*) ص ٤٧.

4 ـ اختصاص العدد للتكثير:

الورقة: 103 و.

وفي بعض المخطوطات إلى جانب البيانات السابقة يشير الباحث إلى أجزاء هذا المخطوط أو الموضوعات التي يتناولها، وفي بعض المخطوطات يورد الباحث جزءاً من أول النص ثم جزءاً من آخره مثل:

1 ـ نتائج الفكر:

المؤلف: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (ت 581 هـ).

أوله: (بسم الله الرحمن الرحيم وبه التوفيق والعون. قال الشيخ الفقيه الاستاذ أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي الحسين الخثعمي ثم السهيلي، رضي الله عنه: بحمد الله نفتح كلامنا...)

آخره: (وزاده حسناً ههنا ازدواج الكلام، وطلب السجع فشهر في هذه الكلمات مبني على ما قبله، كأنه يقول السنة شهر ترى وشهر تري، أو من السنة وكذلك ما بعده من قولهم: ثوب نسيت وتوب أجر. انتهى الكلام ههنا في نتائج الفكر، والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله).

الورقة: أو ـ 98 ظ.

وفي بعض الأحيان يورد الباحث بياناً لفائدة أو قيمة المخطوط أو توضيح لمضمونه، وعموماً فإن الباحث وكما أشار في مقدمته أنه حاول اعفاء الوصف من كل زيادة لا تمت اليه بصلة، ولا تقدم فائدة، ولم يتوسع بذكر المصادر ولا التعليقات، كما أنه قام بتجريد العناوين من لفظ «كتاب» أو «رسالة» ما استطاع.

وبرغم ورود بعض البيانات الناقصة إلا أن الباحث لم يترك جهداً في البحث، حيث يراجع عدة مصادر متنوعة للتفتيش عن اسم مؤلف أو التحقيق في تاريخ وفاته، أو تصحيح نسبة الكتاب إليه، أو التأكد من عنوانه، وأهم المراجع التي استعملها الباحث هي:

- إيضاح المكنون. اسماعيل باشا البغدادي، طبع وكالة المعارف بتركيا 1945.
- البلغة في شدور اللغة للدكتور أوغست هفنر، طبعته الثانية التي صدرت ببيروت سنة 1914.
- رسائل ابن كمال باشا، مطبعة اقدام، بدار الخلافة العلية، 1316 هـ.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، طهران، 1967.
- مجموع مهمات المتون، طبعته الرابعة لسنة 1949.
- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، دمشق 1957 م.
- هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي، استانبول 1951.

هذا عن بيانات الوصف للمخطوط داخل كل مجموعة، وفي نهاية كل مجموعة يشير الباحث إلى مكان وجود هذه المخطوطة في استانبول بتحديد اسم المكتبة التي توجد بها وعنوان هذه المكتبة ورقمها مثل:

[مكتبة خسرو باشا ـ رقم 754]

[مكتبة اسعد افندي ـ رقم 3579]

وهكذا ينهي الجزء الخاص بالمجاميع.

ثانياً: المجاميع

وهو عبارة عن 3 كشافات للمخطوطات الواردة بالمجاميع مرتبة هجائياً بالعناوين وبأسماء المؤلفين للمخطوطات أو بأسماء النساخ.

1 ـ فهرس المخطوطات:

هو عبارة عن ترتيب هجائي بأسماء المخطوطات تبعاً للحرف الأول من اسم المخطوطة مسقطة منه ال التعريف، أما الترقيم فيه فهو على التوالي:

رقم المجموع ثم رقم المخطوط بالمجموع يليه رقم الصفحة.

يشغل هذا الفهرس الصفحات من 145 - 166، أما طريقة البحث فيه فهي بتتبع أبجدي للعناوين وأمامها الرمز الرقمي لموقع المخطوط بالمجاميع، وعن طريق الرمز الرقمي يتوجه القارىء إلى الجزء الأول للحصول على المعلومات الخاصة بالمخطوط المطلوب، مثلاً:

الحاصل بالمصدر 8 3 45

عنوان المخطوط ← رقم المجموع ← رقم المخطوط داخل المجموع ← رقم الصفحه

وهكذا على القارىء الطالب للمخطوط الذي عنوانه الحاصل بالمصدر، عليه أن يتوجه للمجموع رقم 8 والمخطوط رقم 3 وذلك بالصفحة 45 من الجزء الخاص بالمجاميع، وهكذا.

2 ـ فهرس المؤلفين . .

وهو أيضاً كشاف هجائي بأسماء المؤلفين أو الكاتبين للمخطوطات، ترتب فيها الأسماء تبعاً للحرف الأول من الاسم الأول للمؤلف دون اعتبار لكلمة ابن أو اللقب أو الكنية، أما الترقيم أو الرمز الرقمي فإنه ككشاف العناوين حيث يشير إلى رقم المجموع ثم رقم المخطوط ضمن المجموع وأخيراً رقم الصفحة التي وردت بها المعلومات عن المخطوط بالمجاميع، وعموما فقد غطى هذا الفهرس الصفحات من 167 - 183 من الكتاب.

مثلاً: أحمد بن اسماعيل الابشيطي 94/4/1.

هذا يعني أن مخطوط أحمد الابشيطي تجد بيانات وصفه ومكان وجوده بالجزء الخاص بالمجاميع تحت المجموعة رقم 16 وهو المخطوط رقم 4 في الصفحة 94.

3 ـ فهرس اسماء النساخ . .

وهو آخر جزء من الفهرس وجاء في صفحة واحدة فقط، وهو أيضاً ترتيب هجائي بأسماء الذين قاموا بنسخ بعض المخطوطات التي وردت بالجزء الأول الخاص بالمجاميع، وأمام اسم كل ناسخ أيضاً يدون الرمز الرقمي الدال على وصف مكان وجود المخطوط بالمجاميع والذي يدلنا بالتالي على مكان وجود المخطوط باستانبول.

هذا ملخص وصفي لهذا الكتاب وما احتواه من معلومات وكيفية ترتيبها والبحث فيه، ولم يبقَ إلا الصفحة الأخيرة والتي تحوي:

فهرس الموضوعات . . .

وهو الذي اشار الباحث إليه خطأ بأنه فهرس للموضوعات برغم أنه لا يزيد عن كونه قائمة المحتويات، ففهرس الموضوعات عادة يختلف تماماً عن هذه القائمة حيث أن الكشاف الموضوعي أو الفهرس الموضوعي هو تقسيم موضوعي تحت رؤوس الموضوعات لمجموع المخطوطات بعد فحص محتوياتها وتحديد موضوعاتها، ومن مجموع رؤوس الموضوعات يتكون الفهرس الموضوعي فمثلاً تحت رأس الموضوع «النحو» تجمع كل المخطوطات التي تتحدث عن «النحو» وأمام كل مخطوط الرمز الرقمي له.

وعموما فإن الباحث للرد على التساؤلات الموضوعية من المخطوطات اكتفى بعمل فهرس العناوين، حيث تشير بعض العناوين المباشرة إلى موضوع المخطوط إلا أن أغلب العناوين مدغمة ولا تشير إلى الموضوع، لذا ظلت الحاجة قائمة إلى فهرس موضوعي للمخطوطات مثلاً

عناوين مباشرة	عناوين مدغمة
بيان شروط الحال	بغية الاريب في بدعة المحاريب
بين الناسخ والمنسوخ	ايقاظ النائمين وافهام القاصرين

بعد استعراضنا للوصف التفصيلي لهذا الفهرس من حيث محتوياته وكيفية ترتيبها وتقديمها، لا بد وأن نقف وقفة تقييمية نقدية بناءة لهذا الفهرس، ربما تكون مؤشرات للباحث يستدل بها في اعداد طبعاته الجديدة المزيدة لهذا الفهرس أو للفهارس الأخرى التي هو بصدد اعدادها وسنتعرض لكل جانب على حدة:

أولاً ـ الترتيب . . .

لقد اعتمد الباحث طريقة في الترتيب تعتمد أساساً على ترتيب المجاميع تحت أرقام متسلسلة بطريقة عشوائية، وتحت كل مجموع ترتيب بيانات وصف المخطوطات التي يضمها كل مجموع بدون أي ترتيب أبجدي أو هجائي، بل كما جاء ترتيبها بالمجموع نفسه، وعموماً فلا بأس بهذا الترتيب عند البحث في هذا الفهرس، وإن كانت هناك عدة طرق أخرى أكثر حداثة وسهولة لدى استعمال الفهرس، بل قد نستطيع القول بأن هذا الترتيب للفهرس لولا أن عدد المخطوطات لم يكن قليلاً لما كان البحث فيه سهلاً أو في الامكان.

هناك العديد من الطرق الأكثر حداثة وسهولة في ترتيب الفهارس، لو أن الباحث استخدم احدها مثل الترتيب الموضوعي تحت رؤوس موضوعات لكان أسهل من عملية البحث لأن أغلب عناوين المخطوطات غير دالة على موضوعاتها وعموماً كلمة حق تقال ان اعتماد الترتيب الموضوعي للفهرس قد يكون اعداده من الصعوبة بمكان على باحث واحد خاصة في مجال المخطوطات لأن عملية فحص المخطوط للتعرف على محتوياته وتحديد رأس موضوع دقيق لهذه المحتويات يتطلب وقتاً كبيراً وليس من مهمة مفهرس المخطوطات تحقيقها.

وعموماً فإن كان هناك ما يعيب هذا الترتيب للفهرس الذي اعتمده الباحث فهو عدم وجود شرح وافٍ بالمقدمة عن كيفية استخدام هذا الفهرس وكشافاته الثلاث، فعلى الباحث فيه أن يكتشف من تصفحه أن فيه كشافات ثلاثاً وأنه لكي يحصل على المعلومات يجب أن يتتبع الدليل الرقمي بالكشافات ومن هو بحاجة لمعلومات عن مخطوطة فلا يحتاج لكل هذه الاكتشافات قبل أن يجدها.

ثانياً ـ بيانات الوصف . .

وكما قال الباحث في مقدمته انه أورد ما وسعه ايجاده من معلومات عن المخطوطات من بيانات وصف وجاء عدد كبير من المخطوطات ناقصاً في بيانات الوصف برغم مراجعة الباحث لعدد من المصادر لتحقيق المعلومات واستكمال النواقص ولكن الباحث شارك في عدم توحيد بيانات الوصف للمخطوطات فمثلاً بعض المخطوطات أورد جزءاً من أولها وآخرها وبعضها الآخر معلومات عن محتواها وفي البعض الآخر لم يذكر شيئاً من هذا بل اكتفي باسم المؤلف وعنوان المخطوط وصفحاته، أما عن ترتيب بيانات الوصف فنجد أن الباحث لم يتبع فيها أي تقنين، بل يورد اسم المخطوط أو عنوانه بسطر مستقل ثم يليه بالسطر الآخر اسم المؤلف . . . وهكذا، وحبذا لو أنه استخدم التقنينات الحديثة بالفهرسة عند ترتيبه لهذا الفهرس، ونأمل من الباحث أن يتلافى ذلك بالفهارس القادمة والتي تحت اعداده الآن .

وعموماً فإنه ينقص هذا الكشاف أيضاً مدخل تاريخي عن المخطوطات بتركيا، وأماكن وأسباب وجودها هناك معرجاً في ذلك على تاريخ الإسلام ودخول العرب والاسلام إلى تركيا، وما خلفوه من آثار إسلامية هناك والتي اهمها الآثار المكتوبة والمتمثلة بالمخطوطات الكثيرة والمختلفة بها .

وأخيراً لا يسعني إلا أن أقدم شكري وتقديري للباحث الكريم الدكتور طه محسن على ما قدمه من خلال هذا العمل من خدمة جليلة للتراث الاسلامي الخالد حيث سلط الضوء على بعض كنوزه الدفينة، وفتح بذلك نافذة يطل منها الباحثون على ما يتوهم ضياعه، وفقدانه .